من ميت حي الى احياء اموات

(* بقلم وليم كاتسفليس *)

عضو في الرابطة الشرقية

« هي سلسلة رسائل من ارمني ذهب ضحية تمدن ؟ ؟ » الانراك الى صديق له على الارض يحملها اليه مركور ويترجمها الى لغة الأحياء وهلك »

. . . . .

عزيزي باخوس

يقولون ان حديث الملوك ملك الحديث فكيف بحديث الالهة والانبياء ورجال الله الاخصاء ؟

اسعدني الحظ فأتاح لي حضور مجلس فريد في تاريخ الكائنات ، لو حلم المرء لما حلم بمثله ، او تخيل لما وسعت مخيلته نصف ما رأيت وسمعت. مجلس جمع الالوهيـة والنبوة ، والنبوغ والقداسة ، والعلم والشهرة . وكان في صبيحـة اين منهـا ليلة القدر . لا يمكنك ، وانت على الارض الفانية ، ان تتصور عظمته وجماله ، او ان تدرك معناه وجلاله . فأليك قصتي وكيف توفقت الى حضور ذلك المجلس النادر

خرجت يوماً من غرفتي عند الصباح متجهاً نحو الحديقة العمومية التي تسمونها في لغتكم الجنة . فمشيت بين اشجارها المزهرة ، وانهرها المتدفقة افكر في حالة النعيم التي انا فيها ، مقابلاً بينها وبين حالتكم التعسة على

الارض وما تقاسونه من جور الترك وقسوتهم البربرية ، متمنياً ان ينتهي دوركم الارضي فينتهي معه شقاؤكم ، وتزول احزانكم ، وتجتمعون معنا في دار النعيم الذي لا تزول سعادته ؛ حتى وصلت الى البناء القائم في وسط الحديقة الذي نسميه هنا « قبة المجد » لان فيه يجتمع عادة أئمة الخلائق وعظماء الفكر . فرأيت جمهوراً مزدحماً حول القبة كأنه البحر المائج ، او حرج تكاثفت اشجاره . فاستغربت الامر وهرعت مسرعاً لاستعلم الخبر . فقيل لي ان يسوع في القاعة وبين يديه الانبيـاء والقديسين والعظماء يتجاذبون اطراف الحديث . وهذا ، يا عزيزي باخوس ، امر نادر الحدوث ، لانه ، تبارك اسمه ، احياناً كثيرة يكلم الناس من جميع الطبقات وبلاطنهم ، ولكنه قلما يجلس جلسة كهذه .

وما الازدحام الذي رأيته الا لان الجميع يحاولون الدخول الى القاعة فلا يجدون الى ذلك سبيلاً ، لانها ، عَلَى رحبها ، ضاقت عَلَى الجالسين فيها ، ولذلك كان الذين بقوا خارجاً يتهافتون عَلَى ابواب القاعة ونوافذهـا ليسترقوا السمع لعلهم يفوزون باستماع نتف من الحديث

فلما رأيت هذا لم يبقَ لي امل بالدخول ، فحزنت ووددت لو جئت باكراً . ولكني اسلي همي رجعت الى غرفتي فأشعلت فرجيلة فحملتها وعدت ثانية الى حيث كان الجمهور .

ولم تمض دقائق قليلة حتى سمعت صوت ابي العلاء وهو ينادي : « أين لي بفرجيلة الان لتتم سعادتي ! » فصحت لبياعتي : « حاضر ! يا ابا

العلاء · أمير المفكرين والعقلاء · افتحوا لي طريقاً ، يا اخوان · فمعي بغية ضرير المعرة ! »

فسمعت اذ ذاك ضحكاً وقهقهة من داخل القاعة ومن حولها وانقسم الجمع شطرين ليمكنوني من المرور · فهرولت مسرعاً الى كرسي المعري فناولته الترجيلة وهبطت جالساً عند قدميه بلا اذن ولا دعوة

فضحك موليار ، وكان حاضراً ، وقال لي ·

« ويحك يا خبيث · لقد اشتريت بترجيلة ما لا يشرى بمال العالمين كلهم»

ثم عاد السكون الى المجلس وتابع القوم حديثهم فسمعت محمداً نبي الاسلام يقول ·

« تكرم واذكر ، يا سيدي عيسى ، اني لست بمسؤول عما ينسب الي وانا بريء منه »

فقال بطرس مقاطعاً النبي ·

« وانا ارجوك ، يا اخي ، ان لا تدعو فادينا « عيسى » فان اسمه المقدس يسوع ، واذا كنت أردت تعريبه على الارض فقد حان لك الان ان تلفظه بلفظه الاصلي » فتبسم السيد وقال ·

« آه ، يا بطرس · اراك لا يزال فيك نزق الشباب وانت شيخ · ماذا يهم الاسم او تفعل الكنية ؟ ألست انا — انا مهما اختلفت الاسماء والنعوت؟»

فقال محمد :

« يا سيدي يسوع ، هل يفهم جميع الذين يدعون المسيحية تعاليمك

السامية ؟ وهل أحسن جميع الذين يدعوهم البشر آباء كنيستك واقطابها تفسير انجيلك الطاهر ؟ كلا · لم يكونوا كذلك · بل ان اكثرهم كانوا الى الكفر اقرب منهم الى الايمان الصحيح · فكيف ينتظر من طائفة بدوية وقوم أبعد عنهم العلم والتمدن اجيالاً ألاّ يخطئوا تفسير اقوالي ؟ »

فقال يسوع ·

« يا محمد · انا لم ألقِ عليك اللوم · بل اني أقر لك بفضل عميم واخلاص صميم · انما أخطىء بعض اقوالك لعدم التجرد التام عن العالميات

فقال افلاطون ·

« هذا هو كلام الحق المبين · فانك ، يا محمد ، قد مزجت السياسة المحلية بالتعاليم الدينية · فكنت نبياً ، وكنت زعيم حزب في حين واحد · وسمحت احياناً للغضب ان يملىء عليك ، ولم تترفع عن الاحزاب ، ولم تجهل الاعداء كما فعل السيد الذي لم يلتفت الى مضطهديه الا ليباركهم ولم يقل فيهم كلمة تستطيع الاجيال التالية ان تأولها شر تأويل كما حدث في الاسلام »

فقال محمد ·

« التأويل امر سهل عَلَى من شاء التلاعب · والتحريف ممكن حتى في اكثر الاقوال وضوحاً وصراحة · عَلَى ان صديقي غلادستون قد اخطأ عندما كان عَلَى الارض بقوله — ان القرآن حاجز في سبيل التمدن · فالقرآن هو هو التمدن لو احسن الناس فهمه · عَلَى ان العلة ليست فيه ، بل في ما

جرى بعد انتقالي من الارض . وكفى اشارة لقوم يفقهون .»

فقال توما الاكيني .

« اجل . ان ما فعله خلفاؤك ، ايها النبي ، وما قرروه عن مصدر القرآن كان عثرة في سبيل ارتقاء الدين فلسفياً »

فقال محمد .

« ولم أكُ انا مثلك يا سيدي يسوع من حيث المعارف والفلسفة . بل كنت اقول ما في قلبي كما كان يخطر لي . ويشهد الله انني كنت مخلصاً في جميع افعالي واقوالي ولم يخطر لي ببال قط ان اتباعي سيهدمون بنائي الجميل . »

فقال ابوالعلاء .

« لماذا اذاً ، يا محمد ، لم ترتب امورك قبل موتك ؟ هل أملت الخلود على الارض ؟ فلو اوصيت لما فرقت وندمت »

فقال محمد .

« ارى من الحكمة ان لا اذكر لكم ما جرى قبيل انتقالي من الارض»

ثم التفت الى ابي بكر وقال

« لو شاء ربك لكشف القلوب وما فيها وارى الناس الضمائر وما تكنه ولو تم ذلك لعلمنا لماذا اتفقت ، يا عماه ، مع عمر بن الخطاب وابي عبيدة ابن الجراح فتقاتموني وانا محتضر من بيت ميمونة الى بيت ابنتك عائشة . ولكننا نضرب صفحاً عما جرى فالله شاهد عليّ انني لم اهوَ المجد العالمي ،

بل اتممت رسالتي باخلاص فكنت الرسول الامين الصادق

فقال عمر

« خشينا سيطرة اهل البيت ، والاثرة أثم ، فحمينا صالح المسلمين »

فقال محمد

« وهل كنتم انتم اصدق ايماناً واشد غيرة على الاسلام من اهل بيتي؟ »

فقال عمر

« لا ، يا نبيّ الله ، ولكن علياً كان كثير التعصب لا يرى الا رفية الكلام دون مغزاه ، فخفنا ان يشدد على المسلمين فتعم الردة »

فقال علي

« لو زلت منكم حقي لما خطوت خطوة ، ولا اتيت امراً بلا مشورتكم . ولما حدثت الشيعة التي هدمت بنيان ملكنا وكانت السبب لافول مجد العرب »

فقال ابو العباس السفاح

« والله يا عمر لو كنت انا وخلفائي نلبس العباءة وننتشر التراب كما كنتم تفعل لما زالت دولة العرب . فالترك دخلوا من باب الترف — ترف الخلفاء وتختهم . واية ضربة على الانسانية اشد وطأة من الحكم التركي ؟ »

فقال يسوع

« الترك ليسوا من الاسلام على شيء ، بل هم يستعملون الاسلام كما يستعملون مدافع كروب وسيلة لنيل غاياتهم . ولكن دعونا من حديث الماضي ، فعلى الارض ما مضى قد مضى . ولنفكر بالآتي . ان هذه

الحرب التي يدمى لها قلبي عن قريب تنتهي . ولا يبعد ان تعود الدولة العربية او جزء منها الى الوجود . فهل يحسن العرب من الاسلام فهم القرآن يا ترى ؟ ان هم فعلوا ذلك فيشرهم بالسعادة والنجاح ، والا — فسقوطهم هذه المرة اشر من سقوطهم فيما مضى من الايام ولا يقوم لهم من بعده قائمة»

فقال محمد

« اني ارى في الاسلام عقولاً نيرة ونفوساً كبيرة . فان هم لم يدركوا تعاليمي ، وجهلوا غايتي ، وحرّفوا اقوالي ، وظلوا في عمايتهم سابحين وفي قصرهم غارقين ، يعميهم التعصب عن نور العلم الصحيح ، ويمنعهم الجبل عن فهم ما يقرأون ، فلا كانوا ولا كانت دولتهم . وانا بريء منهم ومما يقولون .

فقال المأمون

« يا سادتي ، لو اطال الله عمري على الارض لغيرت وجهة الاسلام ولأرجعت اليه زهوه . فاطلب ، يا محمد ، ان يرسل الله في الاسلام رجلاً يفهمك كما فهمتك انا فيكون هو هو المهدي »

عند هذا نهض السيد متجهاً نحو الحديقة فانفرط عقد الحضور . والسلام عليك من اخيك

مركيس اراميان

« منقولة عن الاصل بقلم وليم »

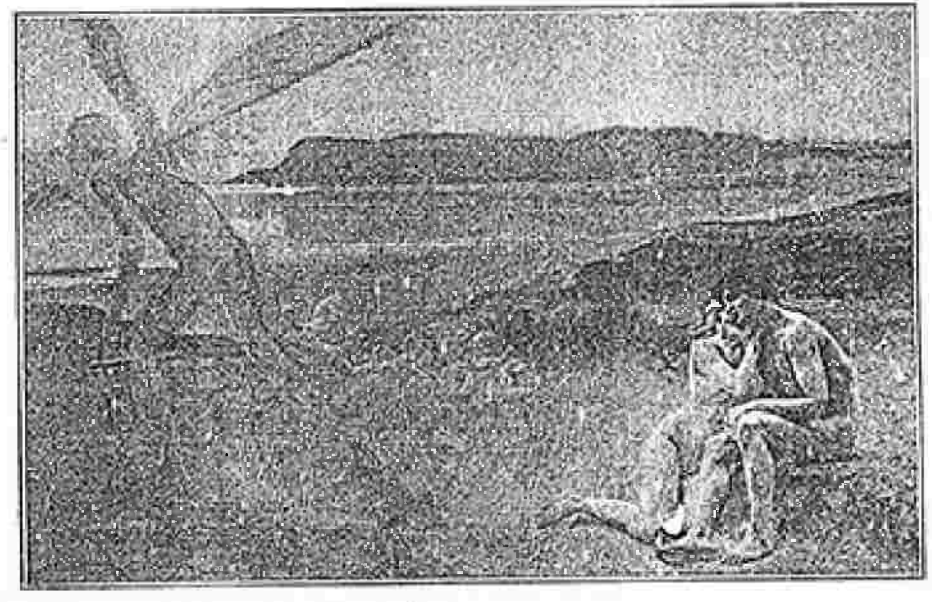

﴿ * ما أسرع مرور الزمان * ﴾

للصور دانتون